تمهيد

قدّم العديد من الباحثين الذين تناولوا في الدراسة المؤسسات البحثية ومراكز التفكير العالمية مساهمات مهمة لتعزيز فهمنا للكيفية التي نشأت بها المراكز البحثية والعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية العديدة التي أثرت في تطورها؛ إلا أن ثمة العديد من الأسئلة الأساسية التي تتعلق بمراكز التفكير والبحث في الوطن العربي بقيت معلقة من دون إجابة، سيما فيما يتصل بالخصائص الحاسمة لتعريفها والمميزات المتنوعة التي تتصف بها ووظائفها وأدوارها والأطر المفاهيمية التي وضعت لدراسة مشاركتها في صنع السياسات.

هذا ويتضح أن مراكز الأبحاث والدراسات تكتسب أهميتها وضرورة وجودها من الحاجة لها، ومن مقتضيات الضرورة السياسية والاقتصادية والإعلامية والأكاديمية والاجتماعية... إلخ. باعتبارها الطريقة المثلى لإيصال المعرفة المتخصصة من خلال ما تقدمه من إصدارات علمية وندوات متخصصة تضاعف

الوعي لدى صناع القرار والمؤسسات والأفراد، وتساعدهم على الربط بين الوقائع الميدانية وإطارها العلمي النظري.

ولأن لمراكز الأبحاث دوراً ريادياً في توجيه عالم اليوم، وكونها أداة مهمة في إنتاج العديد من المشاريع الحيوية التي تتصل بالدولة والمجتمع والفرد، ودراسة كل ما يتصل بها وفق منهج علمي معرفي؛ ولأن مراكز الأبحاث من القضايا الوطنية الهامة والحيوية التي تعكس اهتمام الشعوب بالعلم والمعرفة والتقدم الحضاري واستشراف آفاق المستقبل؛ تأتي أهمية هذه الدراسة كونها تسلط الضوء على ضرورة من ضرورات المشهد العربي الراهن، مما يفرض على الدول العربية، تفكيراً معمقاً بخصوصيات هذا المشهد، وعولمته، وآفاقه وتحدياته الجسام؛ وامتلاك مفاتيح المعرفة والتقدم والحضارة التي لن يتم الحصول عليها دون بحث علمي جاد ومهني تكون أدواته مراكز الأبحاث والدراسات.

مشكلة الدراسة:

تتناول هذه الدراسة من خلال منظور عالمي وإقليمي، خصائص المراكز البحثية التي تختص بتحليل السياسات والإستراتيجيات، وتتطرّق إلى العوامل التي تؤثّر في تطوّرها وأدائها. وتهدف الورقة أيضاً إلى تقييم عناصر القوة والضعف والفرص والتحديات التي تواجه المراكز البحثية في المنطقة العربية.

وبشكل أساسي تتطرق مشكلة الدراسة إلى البحث في خريطة مراكز الأبحاث السياسية والإستراتيجية في العالم العربي، مع تحري واقع تلك المراكز والتعرف على أهميتها وأدوراها ونشأتها وإعطاء نظرة تاريخية تابعت تواجدها، وتقديم تحليلٍ لأهم المشكلات والتحديات التي تواجهها. وذلك بعد القيام بتفكيك المفردات والمفاهيم المتعلقة بالدراسة، ثم محاولة تقديم بعض التصورات والاستنتاجات التي من شأنها إثراء عمل مراكز الأبحاث العربية وتطورها.

أهمية الدراسة:

بالإضافة إلى أن أهمية الدراسة تنبع من كون مراكز الأبحاث التي تعنى بتحليل السياسات ورسم الإستراتيجيات تشكل من مجمل ما تشكله ضرورة مجتمعية وحضارية ونمطاً متقدماً من أنماط العلم والمعرفة، إلا أن الباحث يعتقد أن الذي يميز هذه الدراسة، عن غيرها من الدراسات أو الأوراق أو المقالات التي تسنّى له الاطلاع عليها والتي ركزت معظمها على تشخيص دور مراكز الأبحاث في صنع القرار السياسي والتحديات والعقبات التي تواجهها، فإن هذه الدراسات لم تقرأ الموضوع بالاستناد على (قاعدة بيانات) تضم عشرات المراكز البحثية العربية وتتبع انتشارها؛ وبالتالي؛ يُعتقد أن هذه الدراسة ستكتسب أهمية في مضمونها، وتحاول قدر الإمكان عرض واقع مراكز الأبحاث والدراسات بشكل مفصل وكما نتصوره نحن الباحثين العرب لا

كما يكتبه عنا الباحثون الغربيون. والذي أرى أنه لزامٌ وحقٌّ من واجبنا أن نحاول الإلمام بهذا المجال لما قد يشكل فرصة استثنائية تملي علينا أن نتمعن فيه ونتأمل فلسفته وأدواته وتأثيراته.

تساؤلات الدراسة وفرضيتها:

تحاول هذه الدراسة التعرض لسؤال رئيسي يتفرع عنه عدد من الأسئلة التي تدخل في صلب الموضوع وهي:

ـ ما أبرز ملامح المؤسسات والمراكز البحثية الموجودة في العالم العربي؟ وما أهم الأدوار والمهام المنوطة بها؟ وما أهم المعيقات والتحديات التي تواجه دور وفعالية وتطور تلك المؤسسات؟

تنطلق الدراسة من فرضية أساسية مفادها: أن مراكز الأبحاث والدراسات في العالم العربي تعيش حالة من النمو والانتشار والتوسع، ولكن ما زال دورهَا ضعيفاً وإلى حد ما «باهتاً» بسبب المعيقات والتحديات والإشكاليات التي تواجهها.

ويتفرع عن هذه الفرضية فرضية أخرى:

إن نفوذ وتأثير ونشاط مراكز الأبحاث والدراسات في العالم العربي يتباين من مركز لآخر، ومن دولة لأخرى بالاعتماد على طبيعة القضايا موضع البحث، وعلى طبيعة البيئة السياسية المحيطة، وما يتعلق بها من مستوى لهامش الحريات والاستقلالية والتمويل اللازم.

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف يمكن إجمالها فيما يلي:

ـ تسليط الضوء على أدوار ومهام مراكز الأبحاث في العالم العربي بعد التعرّف على خريطة وجودها، أعدادها واختصاصاتها.

ـ من خلال الرجوع للمواقع الإلكترونية لمراكز الأبحاث والدراسات في العالم العربي، سنحاول استقراء أهم ملامح هذه المراكز ورصد الإشكالات التي تتعلق بها.

ـ وبصفة عامة؛ فإن هدفنا هو التعريف والتقديم وتأسيس شيء من التكامل والإيضاح، والإسهام في إثراء هذا الجانب بأصول اللغة العربية.

منهجية الدراسة وأدواتها:

من أجل تحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها، تستند هذه الدراسة إلى:

ـ المنهج التحليلي: لأن طبيعة الدراسة تسعى لاستعراض مراكز الأبحاث والدراسات في العالم العربي وتقديم قراءة تحليلية لها، فاعتماد الباحث على هذا المنهج؛ لكونه يقوم على تجميع الحقائق والمعلومات من مصادر متعددة تشخص الواقع ثم تحلل لتصل إلى نتائج مقبولة، ويعتقد الباحث أن هذا المنهج يتلاءم مع طبيعة الدراسة هذه، لكونه يصف الظاهرة كما هي في الواقع، مما يساعد على معرفة الحقيقة بصورة أكثر دقة وشمولية؛

وبالتالي؛ استخلاص نتائج تساهم في تكوين رؤية مستقبلية.

ـ لجأت الدراسة إلى استخدام قاعدة بيانات تضم معظم مراكز الأبحاث والدراسات في العالم العربي بعد قيام الباحث بعملية مسح للمؤسسات البحثية التي تملك موقعاً إلكترونيّاً لتكوين نظرة شاملة ومتأنية وفاحصة لواقع تلك المراكز والتعرف عليها عن قرب، وضمت قاعدة البيانات حوالي ٢٢٨ مركز بحثي، وشملت (اسم المركز، وسنة تأسيسه واسم المدير أو المؤسس، ونبذة تعريفيه عن المركز، معلومات الاتصال، نوع المركز واهتماماته، وملاحظات على هامش الاطلاع على الموقع الإلكتروني للمركز).

ـ لجأ الباحث إلى الاستفادة من خبرته وممارسته العملية لدى مراكز أبحاث وتطويع هذه الخبرة لتصب في صالح هذه الدراسة وأهدافها. ويُعنى الباحث في المقام الأول بتفكيك مفردات قاعدة البيانات ومسح مشهد تلك المؤسسات البحثية التي ستعرض في هذه الدراسة على شكل أرقام ورسوم. ومن ثم نحاول تقديم بعض المعطيات والاستنتاجات التي من الممكن أن تساهم في تطوير مراكز الأبحاث العربية والرقي بها.

صعوبات البحث:

إن أهم عقبة واجهت الباحث في إعداد دراسته هذه، هي صعوبة الحصول على المعلومات المتعلقة بمراكز الأبحاث والدراسات، فتم تناول كل مركز من هذه المراكز من خلال البحث في شبكة الإنترنت، كما أن بعض مراكز الأبحاث العربية

ليس لها واجهة إلكترونية أو لا تظهر على محركات البحث لحداثتها أو لعدم وجود نشاطات وتحديثات على صفحاتها الإلكترونية، وبالتالي؛ كان المجهود مضاعفاً لتجميع المادة من المواقع والبحث فيها، والجزء الآخر، اعتمد فيه الباحث على الاتصالات الشخصية. علماً؛ أن بعض المراكز خاصة تلك الموجودة في المغرب العربي جلّها باللغة الفرنسية، مما شكل عائقاً أمام الباحث في الوصول للمعلومة.

وأخيراً لا بدّ من القول: إن موضوع مراكز الأبحاث والدراسات بكل تفصيلاته لم يزل موضوعاً قابلاً للبحث والدرس والتحليل والنقد والتعليل، والكشف والاكتشافات والمتابعة والتطوير. ووفق اطلاعنا القاصر في خضم طوفان جارف من المعرفة الإنسانية المتدفقة في عوالم البحث العلمي، لم نر مصنفاً واحداً جامعاً شاملاً في (المكتبة العربية) لموضوع مراكز الأبحاث في العالم العربي، وإنما هي دراسات وورقات علمية ومقالات. كما أن هذه الدراسة لا تدّعي أنها أحاطت بكل مركز من مراكز الأبحاث والدراسات العربية، فهناك مراكز بحثية لم يستطع الباحث الوصول إليها لعدم وجود موقع إلكتروني لها أو عدم توفر المعلومة لذلك آثر الباحث عدم ذكرها في هذه الدراسة. وكما قلنا، فإن هذا الموضوع أوسع ربما من أن يشمل ببحث، فالصورة لم تزل ترتسم بالذهن، ونحاول هنا أن نخطها على الورق على نحو ما؛ لعلنا بذلك نسهم بما أمكننا من جهد يُضم إلى جهود المختصين والباحثين الذين قد يستهويهم البحث العلمي

وتجذبهم مسائله وقضاياه في هذا المجال، في إكمال الصورة وإتمام المراد الأمثل في وضع تأسيس وشبكة واضحة لمراكز الأبحاث والدراسات في العالم العربي ترتقي إلى تلك الموجودة في الولايات المتحدة وأوروبا.